مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد الثامن عشر
2001

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1369 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2001 من ميلاد المسيح عليه السلام

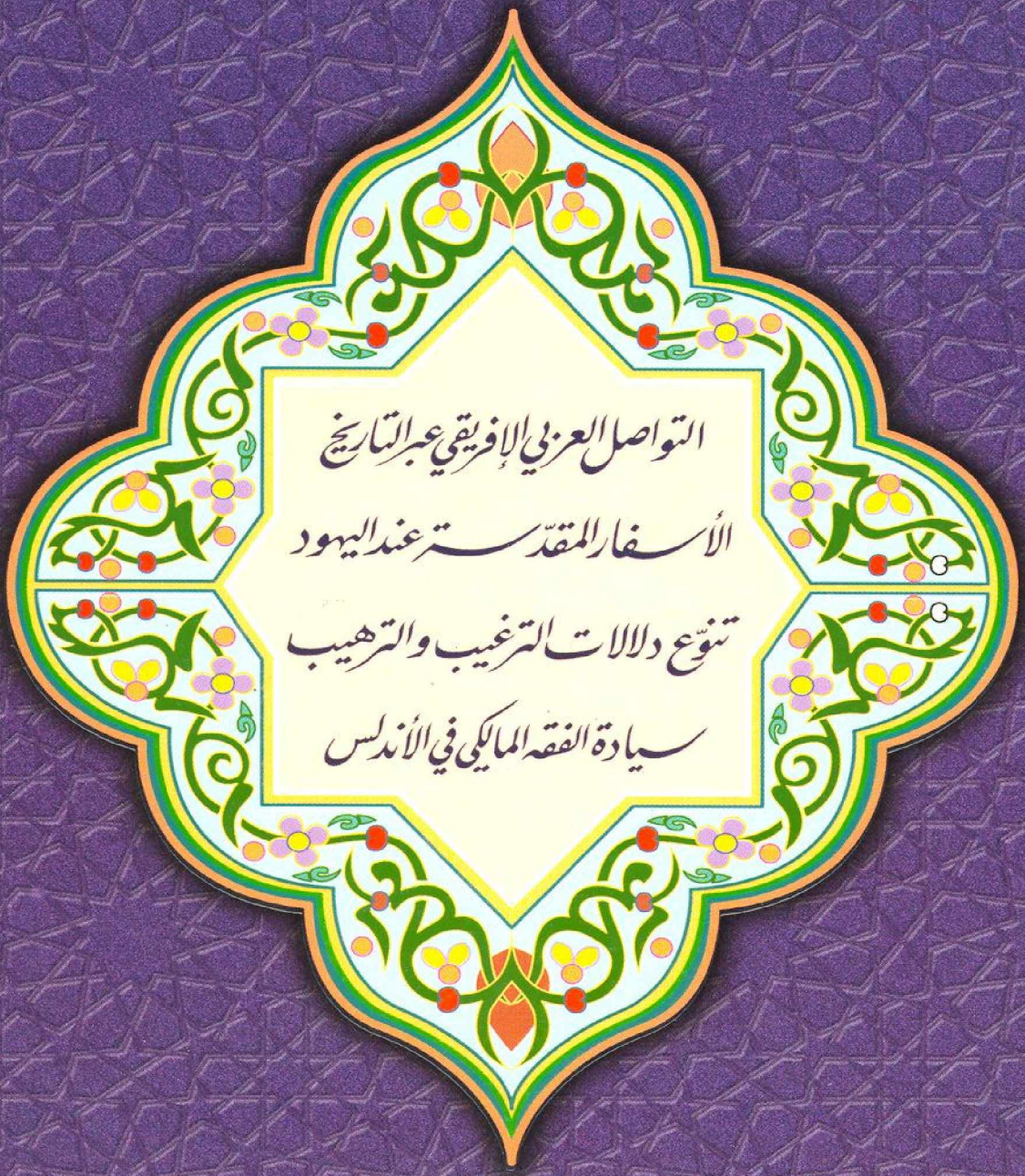

نشأة الطب النبوي وتطوره

كثيراً ما يُثار التساؤل حول موضوع الطب النبوي وأصوله وأبعاده، ومدى توافقه مع الطب الحديث، والاستفادة منه في علاج أمراض الإنسان المختلفة.

ويُعرَّف الطب النبوي بأنه هو الأحكام والإرشادات التي سنَّها النَّبي محمد ﷺ من أقوال وأفعال تتعلَّق بصحَّة الإنسان وما يحيط به من مأكل ومشرب وسكن وبيئة، أي ما تمَّ جمعه من أحاديث نبوية رُويَت عن النبي عليه الصلاة والسلام، أو عن قصص وأحداث وما قيس عليها من أمور تختص بصحة الإنسان قام بها عليه السلام.

وخلال السيرة النبوية نجد العديد من الإشارات إلى التداوي وأنواع الأمراض والوقاية منها، والتَّحزر من الأوبئة، وطرق التعامل مع المرض وأدب زيارة المريض، وأيضاً نظافة البدن واللِّباس والأكل ممَّا له صلة مباشرة بسلامة الإنسان في حياته. هذه أصبحت فيما بعد أفعالاً يقتدي بها المسلم على أنها من السنة الحميدة وجُزء من الطب النبوي كموضوع خاص.

إلا أنه على الرغم من تعوُّد وكثرة هذه الأحاديث حول الصحة والتي لا يمكن بدون شك أن تشمل كل مناحي الصِّحة والمرض فإنه عليه الصلاة والسلام قد قال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» إشارة إلى اتباع النهج العلمي في الحالات التي لم يتناولها الحديث. وقد اهتم المسلمون باتباع إرشادات النبي وتطبيق نصائحه وعلاج بعض الآلام والأمراض بإيمان وصدق تام، وهذا ما دفع العديد من علماء المسلمين وأطبائهم إلى وضع مؤلفات تحمل عنوان «الطب النبوي» وكلها مُستقاة من أحاديث النبي وأفعاله، ومُعظمها أسئلة من الصحابة الكرام حول ما ألَّم بهم من أمور الصحة والمرض. وقد سئل الرسول مرة: أنتداوى يا رسول الله؟ فقال: «**نعم، يا عباد الله تداووا فإن الله عزَّ وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء، غير داء واحد وهو الهَرَمْ**». كما أشار لبعض الصحابة باستشارة الطبيب الحارث بن كلَّدة وابنه النَّضْر لعلاج بعض أمراضهم.

الفرق بين الطب النبوي والطب العربي:

قبل ظهور الإسلام ونزول الوحي على النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام كان العرب يتداوون لدى الكُهَّان، وكان الطِّب هو طب السِّحر والشَّعوذة والتوسُّل إلى الأصنام وتقديم القرابين لها. وبعد ظُهور الإسلام وانتشاره كان المسلم بطبيعته صحيح الجسم سليماً، فقد اعتنى الإسلام بنظافة الإنسان وطهارته وسلامة جسمه وذلك من خلال مناسك الإسلام وواجباته وأركانه، كالصَّلاة والصِّيام والوُضوء والطَّهارة، وإرشادات النبي حول الاعتدال في الأكل والشرب، والحمية والرِّياضة، والابتعاد عن السكر واجتناب الفواحش لما ينتج عنها من أمراض وآفات، وكل هذه الإرشادات هي من أسس الإسلام وقواعده، وهي أيضاً دعائم الطب النبوي الذي انتشر منذ عهد النبوة.

وعندما امتدَّت الفتوحات الإسلامية في كل الاتجاهات وجد العرب معيناً من العلوم المختلفة ومنها الطبية لدى حضارات الدول المجاورة كالروم والفرس واليونان والهند، فنقلت الكتب وتُرجمت إلى العربية وعمَّت الاستفادة منها، حيث استلمت الحضارة الإسلامية مشعل العلم والنهضة من الحضارات السابقة، وبدأ علماء الإسلام في عصر جديد ينهلون ويبدعون ويضعون النظريات العلمية التي استمرت إلى عصور النهضة الحديثة.

وفي هذه الفترة صُنِّفت مؤلفات في الطب، وبرز مشاهير من الأطباء مثل أبي بكر الرازي وابن سينا وابن النفيس والزهراوي وابن زهر وغيرهم ممن وضعوا موسوعات علمية وطبية قيمة، وهذه المصنفات عُرفت باسم «كتب الطب العربي» حيث نُسخت وانتشرت في كثير من المدن والقرى العربية والإسلامية، والطب النبوي هو النواة واللبنات الأولى للطب العربي، وهو الإشارات الأولى للأطباء لإجراء البحوث والسعي في طلب العلم وتقصّي كل السُّبل للوصول إلى حفظ صحَّة الإنسان وعلاج أمراضه.

وضع الطب النبوي الأساس الأول لموضوع حفظ الصِّحة، والوقاية من الأوبئة، واحترام المريض كإنسان، وتقديم الإسعاف لأي مريض، ووضع قواعد وآداب مهنة الطب، ونظام الحسبة لمساءلة الطبيب إذا أخطأ، وبين الطب النبوي أهمية النباتات الطبية في علاج العديد من الأمراض، وهي التي استخرجت منها الأدوية والمركبات العلاجية فيما بعد، وما زال موضوع التداوي بالنباتات الطبيعية ملاذ الإنسان لعلاج كثير من الأمراض المزمنة أو التي لم يجد لها الطب الحديث علاجاً.

أوَّل كتاب في الطب النبوي:

تزخر فهارس مخطوطات التراث الطبي العربي بالعديد من كتب الطب النبوي، عكف على تأليفها أجلاَّء من فقهاء وأطباء من العالم الإسلامي، فمنهم العربي والفارسي والسمرقندي والنيسابوري وغيرهم من أصقاع العالم الإسلامي

وفي مختلف العصور، ولا أعلم أيّ دراسة إلى الآن تشهد بحث هذه المخطوطات وذلك لتصنيفها وحصرها ونشر بعض منها للاستفادة بها.

على أن تصنيف هذه الكتب الخاصة بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام حول الطب كان مواكباً لحركة التأليف وتجميع السنة منذ القرن الثالث الهجري حيث شحذت الهمم وعكف العلماء على تجميع وتثبيت سند الأحاديث النبوية وتبويبها في كتب مثل، مسند ابن حنبل، والموطأ للإمام مالك، وتلا ذلك تصنيف موسوعات الحديث الستة (البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه)، التي قامت بتجميع وشرح الأحاديث وتثبيت رواياتها ورواتها، وفي هذه الفترة أيضاً صنفت كتب تحمل عنوان: «الأربعون حديثاً»، و«المائة حديث»، و«الألف حديث» وكل منها مختص في موضوع معين، وكان أن صدر بعضها يحمل عنوان: «الأربعون حديثاً في الطب» لبعض الفقهاء أو الأطباء.

ولكن أول (أقدم) كتاب وصل إلينا هو باسم: «الطب النبوي» وهو من تأليف العلامة الدينوري، توفي في منتصف القرن الرابع الهجري، كتاب مستقل متخصص في هذا الموضع[1].

أبواب من كتب الطب النبوي

تلتقي جُل كتب الطب النبوي في أنها تستقي مادتها من الأحاديث الكريمة وأفعال الرسول عليه الصلاة والسلام، مضيفة إلى ذلك آراء بعض الفقهاء واجتهاداتهم حول تتمة مواضيع الصحة والتداوي، وتختلف هذه الكتب في المنهج والمواضيع والتفاصيل حولها.

ففي كتاب: «الأحكام النبوية في الصناعة الطبية» لمهذب الدين بن عبد الكريم الصفدي[2] قام المصنف بتجميع مجموعة من الأحاديث حسب

(1) الدينوري، أبو بكر: الأعلام للزركلي، 1: 209، معجم المؤلفين لكحالة، 2: 80.

(2) الحموي، مهذب الدين: الأحكام النبوية تحقيق ونشر: عبد السلام هاشم حافظ، القاهرة 1955ف.

الموضوع من مواضيع الكتاب، فبعد البسملة والمقدمة القصيرة يقول:

«أما بعد فإنه لما كان علم الطب من أنفس العلوم وأشرفها وأجلِّ الصناعات المنيعة وألطفها وكان مطلوباً لقوام الحياة، وكل الناس محتاجون إليه بالذات، وكان طايفة من الناس تُنكر فضيلته وتجمد منفعته فأحببت أن أخرج من الأحاديث النبوية في المعاني الطبية ما يشيد علم الأبواب وينوِّر مصباحه على مرِّ الزمان مضافاً إليه ما تقدم من سماعي عن بعض شيوخي رحمهم الله تعالى...» إلى أن يقول: «وسمَّيتُه الأحكام النبوية في الصناعة الطبية وانتظم سلكه في عشرة أبواب:

الباب الأول: في الأحاديث الواردة في ذكر الأمراض والأمر بالتداوي وفيمن تطبب ولم يعلم من طب».

الباب الثاني: في الأحاديث الدالة على ما يتعلق بحفظ الصحة من صفة الأكل والشرب والنوم وغير ذلك.

الباب الثالث: في بيان أصل الطب والواضع له وفضيلته، وموافقته للعقل والشرع.

الباب الرابع: في بيان الصحة وفضلها والأحاديث الواردة فيها.

الباب الخامس: في بيان المرض وفضله وذكر الأخبار الواردة فيه.

الباب السادس: في بيان فضل عيادة المريض وما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية.

الباب السابع: في ذكر أربعين حديثاً طبياً.

الباب الثامن: في ذكر الخلاف هل التداوي أفضل أم تركه، وحُجَّه كل واحد من الطايفتين.

الباب التاسع: في ذكر الحمية وفضلها وما يكتب للحمى وغيرها.

الباب العاشر: في ذكر أدوية مفردة وقواها ومنافعها وما ورد فيها من أحاديث.

أما كتاب «الطب النبوي» للإمام جلال الدين السيوطي فقد قسَّمه إلى ثلاثة أبواب يُسمِّيها فنوناً، فالفن الأول في قواعد الطب، والثاني في الأغذية والأدوية، والثالث في علاج الأمراض المختلفة[3].

ومن أشهر الكتب التي حازت رواجاً وشهرة بين الناس كتاب: «الطب النبوي» لابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ولد سنة 691هـ بمدينة دمشق وبها نشأ ودرس حتى صار من أعظم فقهاء عصره، وله عدة مؤلفات منها كتاب: زاد المعاد الذي يضم كتاب «الطب النبوي»[4].

وهذا الكتاب قسمان، خصَّ الأول منهما في بيان أنواع الأمراض وعلاجها ومنها: الحمى، التخمة، الطواعين، الاستسقاء، الصرع، ذات الجنب، الرمد، . . . الخ، والقسم الثاني خصصه لبيان الأدوية والأغذية المفردة (مرتبة حسب حروف المعجم) كما وردت عن النبي (ﷺ) في مواقع وطرق استعمالها.

مخطوطات الطب النبوي وأماكن وجودها:

خلال القرنين الثالث والرابع الهجري كُتبت العديد من كتب الطب النبوي لعلماء ومؤلفين تفصل بينهم المسافات البعيدة، ولم تقم حتى الآن دراسة ـ حسب علمي ـ لمقارنة ومقابلة هذه الكتب للتأكد من النقل والإضافة. إن حركة المخطوط من بلد إلى آخر عن طريق قوافل الحج والتجارة، وكذلك سرعة نسخ وتداول المخطوطات هي أسرع مما نقدر، وقد ثبت أن مخطوطات كُتبت في الأندلس وقد تم نقدها أو الرد عليها في نفس السنة من قبل مؤلفين في بغداد أو دمشق أو القاهرة[5].

---

(3) السيوطي، جلال الدين: الطب النبوي (مخطوط).

(4) ابن قيم الجوزية، شمس الدين: الطب النبوي، مطبوع، القاهرة 1957ف.

(5) انظر بحث: التواصل العلمي بين أطباء المشرق والمغرب، ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 20 ـ 23/ 12/ 1424 و.ر.

إن كل كتاب من كتب «الطب النبوي» يتناول جانباً من جوانب الطب ويستند إلى مجموعة من الأحاديث النبوية غير التي يتناولها المؤلف الآخر وكل يحاول أن يبرز أشياء جديدة من إبداع النبي عليه الصلاة والسلام، في موضوع الصحة والتداوي.

وفيما يلي ما تم تجميعه من كتب (مخطوطات) الطب النبوي، ثلاثين عنواناً (27 مؤلّفاً) خاصاً حول موضوع الطب النبوي، وذلك مما أمكن الوصول إليه من فهارس، وما توفر لدينا من مراجع حول هذا الموضوع، وهذه ولا شك، قراءة أولية، وإن العدد الحقيقي قد يصل إلى الضعف في حال الرجوع إلى فهارس المكتبات الأخرى في العديد من الدول العربية والإسلامية.

والإشكال الثاني الذي يصادف الباحث هو وجود العديد من المخطوطات تحمل نفس الاسم «الطب النبوي» إلا أن المؤلف مجهول، مع العلم أنها تختلف في افتتاحية الكتاب وخاتمته مما يدل على أنها متميزة بعضها عن بعض.

ولا تخلو مكتبة من مكتبات المخطوطات العربية في العالم من وجود بعض مخطوطات «الطب النبوي»، ولا يزال الاهتمام بالمخطوط العربي بصفة عامة ضعيفاً، إلا أن اليقظة العلمية الحديثة التي جعلت تحقيق المخطوطات جزءاً من الدراسات العليا قد مكّنت من التعرف على العديد من المخطوطات الهامة والتعريف بها ونشرها والاستفادة منها.

قائمة أوليّة بمخطوطات الطب النبوي وما نشر منها:

1 ـ الأبْهَري، أبو الوزير بن أحمد:

«طب النبي» (الأحاديث الطبية)

مكتبة المتحف العراقي، بغداد[6]

2 ـ الأنطاكي، عبد الرزاق بن مصطفى:

---

(6) النقشبندي، أسامة: مخطوطات الطب والصيدلة في مكتبة المتحف العراقي، بغداد 1981ف، ص219.

«طب نبوي في منافع المأكولات»
نسخة بحلب المكتبة الشرفية[7]

3 ـ البَعْلي، شمس الدين أبو عبد اللّه محمد الدمشقي (ت709هـ ـ 1309ف):
«الطب النبوي».
منه نسخة بمكتبة جامعة إستانبول[8]

4 ـ البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف (ت629هـ ـ 1231ف):
«الطب في الكتاب والسنة».
نسخة منه بمكتبة كمبردج ببريطانيا[9]
تحيق ونشر: عبد المعطي أمين قلعجي 1406هـ.

5 ـ البغدادي، أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي (ت 795هـ):
جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم،
توجد منه نسخة بمكتبة مدينة سامسون/ تركيا[10].

6 ـ التِّلمساني، محمد السُّنوسي أبو عبد اللّه (ت 872هـ ـ 1486ف):
«تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية».
منه نسخة بمكتبة سامي حدَّاد، بيروت[11].

7 ـ التِّيفاشي، أحمد بن يوسف (ت651هـ ـ 1253ف):
«الوافي في الطب الشافي».
وهو مختصر كتاب الطب النبوي للأصبهاني.

---

(7) قطاية، سلمان: مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، 1976ف ص256.

(8) إحسان أغلي، فهرس مخطوطات الطب الإسلامي، إستانبول، 1984ف ص148.

(9) البغدادي، عبد اللطيف: «الطب من الكتاب والسنة» حققة ونشره: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت 1406هـ.

(10) ششن، رمضان، مختارات من المخطوطات العربية النادرة إستانبول 1997ف ص72.

(11) حداد، فريد سامي: فهرس المخطوطات الطبية في مكتبة سامي حداد) حلب 1984ف.

8 ـ ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم الكناني (ت733هـ):

«تذكرة في الطب النبوي».

نسخة منه بمكتبة مدينة أدنة[12].

9 ـ الحرَّاني، أبو عبيد بن حسن (ت 369هـ ـ 979ف):

«كتاب الطب في الحديث»[13].

10 ـ الحَموي، مُهذَّب الدين طرخان الصفدي (ت 720هـ ـ 1320ف):

«الأحكام النبوية في الصناعة الطبية»

حققه ونشره عبد السلام هاشم حافظ سنة 1955ف[14]

11 ـ الدِّمشقي أبو العباس أحمد بن أسعد (ت 652هـ 1254ف):

«شرح الأربعين حديثاً» لعبد اللطيف البغدادي[15].

12 ـ الدمياطي، أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن خليل المصري (كان حياً سنة 789هـ):

«كتاب في الطب النَّبوي».

منه نسخة ذكرها إحسان أغلي بخط المؤلف كتبها بدمشق سنة 789هـ[16]

13 ـ الدَّينوري، أبو بكر أحمد بن محمد ابن السُّني (ت364,هـ ـ 976ف):

«الطب النبوي»

نسخة منه بمكتبة محمد الفاتح، إستانبول[17]

---

(12) ششن، رمضان: مرجع سابق ص33.

(13) البغدادي، اسماعيل: إيضاح المكنون، 2: 311.

(14) انظر الهامش رقم 2.

(15) حاجي خليفة، كشف الظنون ص1038.

(16) إحسان أغلي، مرجع سابق ص234.

(17) إحسان أغلي، مرجع سابق ص53.

14 ـ الذّهبي، أبو عبد اللّه شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ ـ 1348ف):

«الطب النبوي»

منه خمس نسخ خطية ذكرها إحسان أغلي[18].

«الطب النبوي والطب الطبيعي الحكيمي».

منه نسخة بمكتبة كوبرولي[19]، وله عدة طبعات بالقاهرة.

15 ـ السَّهاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ ـ 1492ف):

«السير القوي في الطب النبوي».

أشار إليه إسماعيل البغدادي[20]

16 ـ السَّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ ـ 1505ف):

«المنهج السوي والمنهل الرَّوي في الطب النبوي»

منه عشر نسخ مخطوطة ذكرها إحسان أغلي[21]

ونُسخة بمكتبة سامي حداد، بيروت[22]

17 ـ الصنوبري، مهدي بن علي (ت815هـ/ 1415ف):

«الرحمة في الطب والحكمة»

عدَّة طبعات بالقاهرة.

18 ـ العجلواني، إسماعيل بن محمد الجراحي (ت1162هـ):

«كشف الخفا ومُزيل الألباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس»

أشار إليه الدكتور محمود ناظم نسيمي[23]

---

(18) إحسان أغلي، مرجع سابق ص236.

(19) ششن مرجع سابق ص428.

(20) البغدادي، إسماعيل: إيضاح المكنون 2: 33.

(21) إحسان أغلى، مرجع سابق ص256.

(22) حداد، مرجع سابق ص81.

(23) نسيمي، محمود ناظم: إبداع الرسول العربي في فن الصحة والطب الوقائي أبحاث الندوة العالمية الأولى التاريخ العلوم عند العرب، حلب 1977ف ص842.

19 ـ القليوبي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن سلامة (ت1069هـ ـ 1659ف):

«المصابيح السَّنية في طب خير البريَّة».

منه أربع نسخ ذكرها إحسان أغلي[24]

20 ـ ابن قيِّم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي (ت751هـ ـ 1315ف):

«الطب النبوي»، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، القاهرة 1957.

مطبوع بالقاهرة سنة 1957ف.

«الطب النبوي الكبير المعروف بالهدي النبوي»

من نسخة بمكتبة مدينة مغنيسا[25] بتركيا

21 ـ المسْتغفري، أبو العباس جعفر بن محمد المعتز النسفي السمرقندي (ت342هـ ـ 1041ف):

«طب النبي»

منه نسخة بمكتبة المتحف العراقي، بغداد[26]

22 ـ المقْدسي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد (ت643هـ ـ 1245ف):

«الطب النبوي».

منه نسخة واحدة ذكرها إحسان أغلي[27].

23 ـ مؤلف مجهول: «الطب النبوي»:

أورد إحسان أغلي تسع مخطوطات مختلفة بهذا العنوان[28]

---

(24) إحسان أغلي، مرجع سابق ص316.

(25) ششن، مرجع سابق ص140.

(26) النقشبندي، مرجع سابق ص217.

(27) إحسان أغلي، مرجع سابق ص364.

(28) إحسان أغلي، مرجع سابق ص434.

24 ـ مؤلف مجهول: «الطب النبوى»:

نسخة بمكتبة المتحف العراقي، بغداد[29].

25 ـ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت430هـ ـ 1036ف):

«الطب النبوي»

منه نسختان بإستانبول ذكرهما إحسان أغلي[30]

26 ـ النَّووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت676هـ ـ 1277ف):

«الطب النبوي»

منه نسخة بمكتبة بايزيد بإستانبول[31].

27 ـ النَّيْسابوري، أبو القاسم حسين بن محمد بن حبيب (ت406هـ ـ 1015ف).

«الطب النبوي»

منه 12 نسخة ذكرها إحسان أغلي[32].

خاتمة وملاحظات:

إن الطب النبوي هو موضوع يضم أقوال وأفعال النبي محمد ﷺ، وكان ولا يزال ملاذ المسلمين في علاج بعض الآلام والأمراض الشائعة، ويعتمد على استعمال الأغذية والأدوية البسيطة والنباتات الطبية، ولا يزال العلم الحديث كل يوم يكتشف لنا مزايا استعمال العسل لعلاج العديد من الأمراض المزمنة.

أدى التداوي بالطب النبوي دوراً مهماً في علاج الأمراض النفسية والعصبية، وآفات الذهن والاكتئاب والسوداوية والوسوسة وغيرها من الأمراض النفسية.

والشاب المسلم بطبعه قوي البنية سليم العقل معتدل في شؤون يومه،

---

(29) النقشبندي، مرجع سابق ص217.

(30) إحسان أغلي، مرجع سابق ص126.

(31) إحسان أغلي، مرجع سابق 384.

(32) إحسان أغلي، مرجع سابق ص124.

بعيد عن الإصابة بالإدمان أو السُّكر أو الأمراض الجنسية الوخيمة.

وخلال العصور التي لم تتوفر فيها أدوية للأمراض المعدية والأوبئة قامت تعاليم الطب النبوي بدور مهم في الوقاية من هذه الأمراض وعلاج المصابين، وعزل المخالطين منهم عن الأصحاء ومنع الاختلاط في عصور لم تُعرف فيها بعد نظرية العدوى وسراية الأوبئة.

والقائمة التي تم تقديمها لعناوين الطب النبوي ومخطوطاته وهي موزعة على كثير من مكتبات العالم، وما حقق ونشر منها هو أعداد قليلة، وهناك العديد منها فقدت، أو هي مجهولة المؤلف والعنوان. والأمل كبير ـ ضمن النهضة العلمية الحديثة وتحقيق ونشر المخطوطات ـ أن يصل التنقيب إلى هذه المصنفات النادرة حتى ترى النور، ويجري لها مسح وتصنيف ودراسات للاستفادة منها.